

عنوان البرنامج: شرح «موجز البلاغة» للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
الوحدة الثالثة: كتب و متن بلاغية
الدرس الثالث: مختصر سعد التفتازاني
اسم المحاضر: الدكتور محمد الحافظ الروسي

مختصر سعد التفتازاني

قال الشيخ . رحمه الله تعالى .: «.. وهي زبدة مستخلصة من تحقیقات المطول والمفتاح یحتسونها قبل إبانها، ثم یتناولون مختصر التفتازاني قبل أن یأخذوا شیئا من علم المعاني، وفي ابتدائهم شوطاً، وفي انتقالهم طفرة».

قلت: قوله «زبدة مستخلصة»، فيه مجاز. والمقصود أن ما فی الرسالة السمرقندية هو صفو ما فی «المطول» و«المفتاح».

والمقصود بالتحقیقات هنا إثبات دلیل المسائل مطلقاً. فإذا أرادوا التعبير عن إثبات دلیل المسألة على وجهه فيه دقة، عبروا عنها بالتحقیقات. ولا یستعمل التحقیق إلا فی المعنى، كما لا یستعمل التهذیب إلا فی اللفظ.

وفي قوله: یحتسونها، إشارة إلى جملة من المعاني، هي: قلة الأخذ، والتمهل فی العمل، وشدة الطلب. لأن الاحتساء: تبثُّ التراب لخروج الماء، وهو العمل فی مهلة. فإنَّ احتساءه كتَحَسَّاه. والتحسي: عملٌ فی مهلةٍ. فالإشارة هنا إلى ضعف ما یحصلونه وقلته.

وإبان كل شيء: وقته وحينه الذي یكون فيه. ومعنى ذلك أنهم قدموا فی الطلب ما كان حقه أن یؤخر. وهي رسالة السمرقندي.

قال: «..ثم یتناولون مختصر التفتازاني..». أي: یتعاطون مختصر التفتازاني. وهو شرحه الصغیر على «تلخیص المفتاح». وكان إتمامه له سنة: 756 هـ، وذلك بعد سنوات قلائل من فراغه من الشرح الكبير، وهو «المطول». إذ كان فراغه منه سنة: 748 هـ. فالأول هو مختصر للشرح الثاني. وقد كتب

محمد بن عرفة الدسوقي (ت: 1232 هـ) على هذا المختصر حاشية، وهي مشهورة معروفة.

وقوله: «قبل أن يأخذوا شيئا من علم المعاني، وفي ابتدائهم شوط، وفي انتقالهم طفرة...». يقصد به أن الرسالة السمرقندية في البيان، وليس فيها شيء من علم المعاني، ولذلك فإن قراءتهم لها لا تنفعهم في تحصيل مسائل هذا العلم، فإنهم إنما يبدؤون في قراءته من «مختصر التفتازاني»، وفي ذلك من الصعوبة ما لا يخفى.

فهم لم يبدؤوا من حيث ينبغي لهم أن يبدؤوا، بل تركوا شوطا، وانتقلوا إلى الذي يليه. والأصل في الشوط: مسافة من الأرض يعدوها الفرس، كالميدان ونحوه. ثم تَوَسَّعَ في استعمالها على سبيل المجاز. وفيه معنى آخر يحتمله الكلام، ولا أرى الشيخ قصده، وهو: ترك التثبت. لأن أصل وضع الشوط في مُضَيٍّ في غير تثبتٍ ولا في حقٍّ. ولذلك كره جماعة من الفقهاء أن يقال لَطَوَّافَاتِ الطواف: أشواطٌ. لأن الشوطَ باطلٌ، والطواف بالبيت من الباقيات الصالحات.

والطفرة: الوثبة. أي إن انتقلهم إلى «مختصر السعد» فيه ترك لكتب أخرى يحتاج أن ينظر فيها المبتدئ قبل أن يعرج على مثل هذا الكتاب.

قال: «فرأيت أن أضع لهم مختصرا وجيزا يُلْمُ بمهمات علم البلاغة ليكون لهم كالمقدمة لمزاولة دروس مختصر التفتازاني، ووضعت وضع من يقصد إلى تثقيف طلبة هذا العلم بالمسائل النافعة المجردة عن المباحث الطفيفة في فنون البلاغة الثلاثة...».

أشار هنا إلى منهجه في مختصره، وهو عدم التعمق في المسائل، مما لا ينفع المبتدئ في هذا العلم. وهو قوله: يلم بمهمات علم البلاغة. فإن قولهم: ألم بالأمر معناه أنه لم يتعمق فيه. واقتصاره على المهمات فيه ترك لقضايا الخلاف، وجزئيات المسائل وتفريعاتها. وبذلك فهو يصلح مقدمة، تقوم مقام الرسالة السمرقندية التي كانوا يبدؤون بها، ينتقلون بعدها لمختصر السعد، رحمه الله تعالى.